(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثاني/ محور علوم القرآن ومحور اللغة العربية ومحوراللغة الفارسية,
الصفحات 408–416

أنسنة النقطة والحرف وانزياحهما في شعر أديب كمال الدين

م.د. مها يوسف عاجل الصافي [1]*

[1]كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة سومر، ذي قار، العراق

الملخص

في محاولة شعرية فريدة من نوعها انماز بها الشاعر اديب كمال الدين عن غيره من شعراء عصره وهي ما جعلت شعره محط انظار كثير من الباحثين حين خص ابداعه الشعري بالنقطة والحرف وما زاد جمال شعره وألقه انسنته للنقطة والحرف وانزياحهما عن المعتاد والمألوف في رسم صوره الشعرية متخذا منهما معادلا موضوعيا في غربته فكأنهما اشخاصا يتحاور معهم ويكلمهم أن سمة الحوار الشعري التي طغت على نتاجه كان مركزها النقطة والحرف وحديثمها الماتع حول قضايا شخصية واجتماعية تتمركز النقطة والحرف في كل التفاصيل والمواقف التي طرأت على حياة الشاعر فاصبحا رفاقه لا ينفك عنهما في اغلب نصوصه الشعرية.

الكلمات المفتاحية: أنسنة الشعر، النقطة والحرف، الانزياح الشعري.

Humanizing the point and the letter and their displacement in the poetry of the writer Kamal Al-Din

. Lecturer Dr. Maha Youssef Ajel Al-Safi[1*]

[1]Faculty of Administration and Economics, University Sumer, Dhi Qar, Iraq

Abstract:

In a unique poetic attempt that distinguished the poet Adeeb Kamal Al_Din from other poets of his time, it is what made his poetry the focus of attention of many researchers when he singled out his poetic creativity to the full stop and letter. What increased the beauty and elegance of his poetry was his humanization of the full stop and the letter and its shift from the usual and familiar in drawing his poetic images, taking them Objectively equivalent in his alienation, it was as if they were human speaking to. The feature of poetic dialogue that dominated his work was focus on the full stop and the letter, and its interesting conversation about personal social issues. The full stop and the letter are centered in all the details and situations.

Keywords: Humanization of poetry, point and letter, poetic shift.

تقديم:

أُطلِقَ على الشاعر أديب كمال الدين تسمية "الحروفي". ولم تأتِ هذه التسمية من فراغ، فقد شغف الشاعر بالنقطة والحرف كثيرا، ولا نعرف هل امتلك النقطةُ والحرفُ أم العكس هو الصحيح؟

وقد أضفى الشاعر عليهما صفة التشخيص, لقد قرأتُ ما يقارب عشر مجموعات شعرية له فرأيته قد ركّز فيها على النقطة والحرف تركيزا واضحا يجذب فكر القارئ إلى معرفة سر التعلق بينهما. ذلك أن تسميته بالحروفي، قد اكتسبها –

* **Email address:mahayousify@gmail.com**

أي الشاعر- من أسماء مجموعاته الشعرية (نون ، حاء ، جيم ، إشارات الألف، مواقف الألف ، أقول الحرف وأعني أصابعي، ما قبل الحرف.. ما بعد النقطة). وقارئ شعره يقف دون شك عند نصوصه وقفة تستدعيه إلى التحليق بسر حرف ونقطة الشاعر أديب كمال الدين.

عادة يأنسن الشاعر النقطة والحرفَ وعادة يجعل بينهما حوارا وديا أو العكس , فيركز على الجانب الإنساني فيها بكل صوره ومعانيه((إن النصوص مهما كانت طبيعتها لا تغفل وجود الإنسان والحياة وعلاقاتها بهما. ويمكن أن يستشعر المرء عقم معالجات عديدة استهلكت جهودا نقدية انصبت على النص نفسه واستبعدت علاقاته بالإنسان وعالمه)) [1]. وأكثر ما ورد في أشعاره من أنسنة النقطة والحرف تمثّل ب (قال الحرف ، قالت النقطة) ليضفي عليهما صفات تشخيصية كأنّ تكون النقطة امرأة والحرف رجلا ، ويستمد الحوار بينهما من صور جمالية دلالية يستعير الشاعر لها أعذب المفردات التي تجعل القارئ يكد ذهنه في رسم خيال للحوار بين الحرف ونقطته.

أغلب مجاميع شعر أديب كمال الدين تبتعد عن الواقع وتحلّق في أفق خيال الأدب العربي وصوره الغنية((هو إذاً .. يتعامل بحساسية فائقة مع دلالات الحرف شفرته اللغوية باعتبارها المادة الحيّة التي تحيل الشاعر الى العالم الخارجي وهو يبادل أدواره في المعنى والصورة) [2]

نذكر منها ما يلي:

قالَ لي الحرف
لا تأبه كثيرا
فالكلُّ سيموت،
حتّى الموت نفسه سيموت
قالَ لي الحرفُ ذلك
وأفرد جناحيه
ليحلّق كالنسرِ وسط السماء .
فتحوّلتْ إلى غيمةٍ عظيمة
رحلتْ باتجاهِ البحر البعيد[3]

معتبراً اياهما كائنين حيين بشريين يسمعانه ويتحدثان معه، إذ يجعل منهما شخصيات حية ناطقة متحركة واعية ومدركة ما يقوله. كأن كأن يكون الحرف ذكرا والنقطة أنثى . الخطاب معهما انزياح أسلوبي في نسيج نص الشاعر إذ ان خروج الشاعر عما هو سائد بوساطة التزاوج بين الاستعارة والمجاز والانزياح في صورة فنية جعلت من الحرف والنقطة يمتلكان القدرة في مخاطبة الشاعر في أمر الموت, و((أن تعزيز المعنى الدلالي لديه يكمن في الدلالة اللفظية من خلال إدخاله الجملة الكلامية في سياقها التعبيري المألوف ,ضمن سياق المجاز بانحرافها من المواضعة الى التأويل , أو من الحقيقة الى المجاز)) [4]. وكأنما الحرف أصبح خليله الذي يجالسه ويتحدث معه عن الأمر الحتمي وهو (الموت)، ويصبرّه ويحاول إقناعه أو تهوين الأمر عليه ثم بعد ذلك يستعير الشاعر للحرف جناحا ولا يكون الجناح إلا الكائنات الحية ، ويشبّهه بالنسر

في صورة لها دلالة بلاغية غنية على تمكّن الحرف وقوته ومدى تأثيره وشجاعته. ذلك أن الشاعر عندما يعظّم من شأن الحرف فليس بغريب عليه، حيث أن أديب كمال الدين ليس تفرّد بهذه السمة واختصّ بها وقد أبدع في رسمه

قالت النقطة

انظروا إلى هذا الأرعن الذي ملأ

عليَّ الشارع

ضجيجاً وصراخا

وقال الحرف

انظروا إلى هذه الخائنة التي سرقت

قلبي وفلذّة كبدي

وتركتني أنام على الرصيف

صمت الناس

أعني الكلمات

صمتت الكلمات

أعني الناس واحتاروا في أمرّ هذه الضجّة العجيبة

آخر الليل

جاء أحدهم وصبّ الماء

فوق رأس الحرف

وجاء الآخر

ليسألَ الحرفَ عن مدلوله ومعناه

وجاء الثالث

ليحدّق كالمشدوهِ في هذا الحرف

المرمي في آخر القصيدة

أما النقطة

فاختفتْ وسط بيت خيانتها المنيف

لتترك الحرف يبكي ويصرخ ويولول[5]

الحوار بين النقطة والحرف الحوار بين النقطة والحرف كان حوارا متصادما ، فالنقطة تصف الحرف بالأرعن والحرف يصف النقطة بالخائنة ، إذ ينعتان نفسهيما بصفات يتسم بها الكائن الحي كأنهما رجل وامرأة. وظّف الشاعر هذا النص بوساطة انزياح النسيج الشعري، فالخيال في رسم هذه اللوحة الأدبية الإبداعية لم يتحقق لولا أسلوب الانزياح الذي نلمح به خروجا عن اللفظ المألوف والمعتاد ، ويظهر في النص دور أسلوب الانزياح إذ جعل نص الشاعر مشحونا بقيم دلالية جمالية أغنت نص الشاعر بجمال أسلوبي. بعد ذلك يستمر الحوار بينهما ويستمر دور أسلوب الاستعارة في قوله "رأس الحرف" والرأس من الصفات الجسدية للبشر أما الحرف فلا رأس له. لقد جاءت الصياغة على سبيل الخروج عن المألوف

بوساطة الاستعارة مكنية، يستمر الحرف باتهام النقطة بالخيانة ، ويبدأ الحرف بالبكاء والصراخ على سبيل الاستعارة . هذا النص لعب فيه الانزياح دوره فقد جسد النصوص وخرجت عن نسيجها المعتاد وهذا ما أبرز جمالية النص.

وقوله:

تحت شجرة الكلمة
جلسَ الحرفُ والنقطة
وقبّلا بعضهما بعضا .
كان الحرفُ أخرقَ
لا يجيدُ سوى فنّ الكلام
ولا يجيدُ، بالطبع، فنَّ التقبيل .
فقامت النقطة
بتعليمه سرَّ القُبلة
تحت شجرة الكلمة(6)

الشاعر في خطابه عن حوارية الحرف والنقطة يضفي تجسيدا خياليا رائعا لهما فقد كان خطابه حيا، وكأنه يعاملهما معاملة حية ومباشرة ، إذ يستعير في نصه مفردات تخص الكائن الحي ؛لأنه وحده يستطيع القيام بها ، ففي لفظ (جلس، قبّل، أخرق، الكلام، قامت، تعليمه) كل هذه الأفعال تخص الكائن الحي ؛لأنها بحاجة إلى روح تمثّلها وتقودها نحو الحياة ، وبحاجة إلى عقل سديد يوجهها نحو الصواب، هي بحاجة إلى كائن حيّ يسير ويشعر ويحس بمَن حوله . هكذا فإن الشاعر يحاول إضفاء هذه الأفعال على الحرف والنقطة وأنسنتهما، ممثلا بذلك خروجا عن المألوف. هذا ما ولد انزياحا في النص لأن من المستحيل أن يقوم الحرف والنقطة بهذه الأدوار لأنهما حرف ونقطة فقط. هما مجردان من كل صفة إنسانية تخوّل لهما القيام بفعل البشر، جمال الشاعر الأسلوبي والدلالي في توظيفه للحرف والنقطة مد بنية النص بجمال خارق زاد في كثافة النص.

أبدع الشاعر أديب كمال الدين في وصف الحرف والنقطة وأنسنتهما مما دل على رصانة أسلوبه وتماسك ألفاظه بتوظيفها توظيفا دلاليا جماليا رسم لنا صورا شعرية حلّق بها القارئ في خيال واسع ((فالشاعر يفجر الطاقة الكامنة للغة من خلال النقطة والحرف وهما خط الشروع لحركة اللغة في فضاء الشعر الذي يطير بجناح الخيال. ويعد هذا التوظيف تحولا في الخطاب الشعري لكمال الدين الذي اشتغل على النقطة والحرف ليكونا جسرا يعبر من خلاله الشاعر الى معان متنوعة تتفجر شعريتها من خلال الانزياحات التي تنطلق من النقطة تارة والحرف تارة أخرى لتصبح هذه التجربة متميزة لينفرد فيها الشاعر عن غيره من الشعراء))(7).

في محاولة شعرية جديدة نوعا ما يحاول الشاعر ان يشتكي من الحرف بعد ان باءت محاولاته بالفشل في التخلص من مطاردة النقطة والحرف له لكن بطريقة مختلفة متخذا أسلوب المفارقة في صياغته الشعرية معلنا استسلامه لمراوغة النقطة والحرف له بين التقبيل والطعن وبين الهجر واللقاء,((وليس غريبا أن يحاكي الشاعر حروفه التي تحيل إلى صيغ

مجازية فيما تشير إليه من معنى ملغز في محتواه الرمزي الداعي إلى الحيرة))[8] ففي محكمته للنقطة والحرف لم تكن من باب العداوة او اخذ الثأر والانتقام بل من باب العشق لهما وعدم قدرته الخلاص منهما, ففي قصيدته محكمة للحروف يقول:

لو كانتْ هناك محكمة للحروف
لاشتكيتُ حروفاً عشقتُها حدّ الجنون
فلم تأبهْ بي أبداً.
ولاشتكيتُ حروفاً هدّدتْني وطاردتْني
ليلَ نهار
حتّى ألقت القبض عليَّ،
فقبّلتْني وطعنتْني سِرّاً وجهراً
ثُمَّ هجرتْني ودَرْوَشتْني سِرّاً وجهراً
إلى أن مُتُّ أو شارفتُ على الموت[9] .

وفي نص صيحة من خلف الباب يشخص الشاعر الحرف والنقطة ويحاورهما, إذ يجعل منهما اشخاصا حية يتحاور معهما في صورة شعرية مليئة بالحياة والأمل والبهجة وصادمة في الوقت ذاته, فيشخص كل منهما ويأنسنهما متخذا منهما معادلا موضوعيا في حواريته, فضلا عن اعطاءهما روح تنطق وتتحدث فيما بينها, فهو ((يُرحل الكلمات من مواضعها المألوفة, ويلونها بألوان جديدة ويعطيها أبعادا روحية, يتجاوز حدود الممكن والمعطى في المعنى واللغة))[10], وهذا ما ميز حروفية الشاعر ومكنها في كل قصائده حين تلونت وتزينت ونطقت فرسمت صورا خيالية مؤثرة في المتلقي.

صيحة من خلف الباب
بعدَ انتظار أربعين عاماً
فتحَ الحرفُ مُبتسماً بابه
فانحنيتُ أمامهُ باحترامٍ شديد
وقلتُ لهُ في هدوءٍ مُقدّس:
ما معنى الحياة ؟
وقبلَ أن ينطقَ الحرفُ ببنتِ شَفَة،
خرجتْ لي نقطةُ الحرف
وأغلقت الباب
ثُمَّ صاحتْ:
يا هذا إنّهُ لنْ يجيب[11]

وفي نص آخر تلعب النقطة والحرف دورهما المعتاد في الخروج عن المألوف والانزياح عما هو سائد في انسنة حرفية مائزة في توجيه حوار للشاعر, ففي نص اختصار يحاول الحرف ان يختصر حياة كاملة بنقطة, فيتخذ الشاعر من النقطة والحرف افاقا جديدة يبوح بها عما يعتريه وما يشعر به, والنقطة والحرف وسيلته ليفجر بهما كل طاقته سيما ((ان الإنسان

يبوح بمكنوناته عن طريق اللغة التي تؤسس فكره, وتبلور تصوراته لذاته والعالم الخارجي, ويتعامل الشاعر على وجه الخصوص مع اللغة تعاملا حساسا, فيفجرها ليفتح بالحروف مساحات غير منتهية))[12], في قوله:

اختصار

قالَ لي حرفي:

لا تتعبْ نَفْسَكَ بكلامٍ لا طائل منه.

واختصرْ قصيدةَ حُبّكَ الكبرى

إلى حرفين فقط:

الكاف وسرّها الحاء

والنون وسرّها الباء،

بل اختصرْ كلَّ شيءٍ

وأرجعْهُ إلى النقطة.

نعم،

فمِن النقطةِ جئتُ

ومنها بُعثتُ

وإليها سأعود (13).

وفي نص وجع حوار يأنسن به الشاعر الحرف في صورة شعرية تنزاح عن المعتاد في صياغتها, تاركا علامات استفهام يحاول ان يجيب الشاعر عليها((لا يمر حوار الحرف والنقطة دون أن يطرح عمق السؤال الوجودي القائم بين الشاعر وابجديته))[14], فهو يشخص الحرف ويأنسنه ويجيبه على سؤاله بكل وجع

وَجَع

قالَ لي حرفي:

هل أوجعَكَ الحُبّ؟

قلتُ: بل أحرقَني وذرَّ رمادي

في أعماقِ جسدي

حتّى صارتْ كلُّ خليّةٍ في جسدي

قصيدةً تنتظرُ النورَ لتشرق،

وتنتظر النار

لتتعرّفَ إلى أمّها التي أطلقتْها

صرخةً مُدوّيةً،

مثلما تنتظر الرماد

لتتعرّفَ إلى أبيها الذي قادَها

إلى بحرِ الظلمات [15].

ويستمر حوار الشاعر مع الحرف متخذا منه معادلا موضوعيا في غربته يأنسنه ويجعله كائنا حيا يتحاور معه ويتبادلون الاسئلة, فهو يحاكي حروفه وتحاكيه لغاية في نفسه يحاول جاهدا ايصالها للمتلقي لفك رموزها بما يوحيه النص ويتلقفه القارئ فـ((ليس غريبا ان يحاكي الشاعر حروفه التي تحيل الى صيغ مجازية فيما تشير إليه من معنى ملغز في محتواه الرمزي الداعي الى الحيرة))[16] , على الرغم من اتخاذ الشاعر لغة واسلوبا بسيطا بإمكان القارئ فك شفرات النص بانسيابة تمكنه من فهم النص .

ألا تعرفُ أن تقول لمَن تُحبُّ: وداعاً؟
قالَ لي حرفي:
كتبتَ مئاتِ القصائدِ والكتبِ عن الحُبّ
دونَ أن تنالَ شيئاً!
ألا تعرفُ أنّ بحرَ الحُبّ
لا يتوقّفُ عن الطوفانِ والهذيانِ أبدا
وأنّ مراكبكَ فيهِ لا تعرفُ إلّا أن تغرقَ أبدا،
رغم أنّ الحاء
خُطّتْ على راحةِ يدِكَ اليمنى
والباء على اليسرى؟
ثُمَّ ألا تعرفُ أنّ أجملَ من كلمةِ "أحبّكِ"
هي كلمة "وداعاً"؟
ألا تعرفُ أن تقول
لمَن تُحبُّ "وداعاً"؟ [17]

في نص رماد القصيدة نلمح مدى الضياع الذي يعاني منه الشاعر حاول ان يصور نصه بأسلوب مجازي, فالصورة تحمل من الخيال ما يجعلها تنماز عن باقي نصوصه كأنها صورة حية يمكن للقارئ ان يرسمها في مخيلته او يعيشها معه, إذ نلحظ ونعيش ذلك الضياع الذي مر به الشاعر وعانى منه , وبإمكان المتلقي ان يتخيل تلك الصورة الشعرية ويلمس مدى الألم الذي يختلج جوارح الشاعر, وما مكن الشاعر من ذلك هو غرائبية صوره الشعرية وانزياحها و((إظهار الأشياء غير مظهر العادة والمألوف وترتبط بقوة المتلقي, إذ تتجلى له شاذة, وتظهر له غريبة تثير العجب))[18], وهذا ما لمسناه في اشعاره محاولا التأثير في القارئ .

رماد القصيدة
قالَ لي حرفي:
أرني قلبَكَ العاشق.
ففعلت.
قالَ: هذا ليسَ بقلبٍ بل مجمرة هائلة.
قلتُ: نعم، وأريدكَ أن تمحو نارَها أبدا.

قالَ: بل سأكونُ الريح لأشعلَها أبدا

حتّى تكتبَ برمادِكَ

قصيدةَ حبّكَ الكبرى! (19)

الخاتمة

يتضح مما تقدم قدرة الشاعر اديب كمال الدين في رسم صور جمالية وابداعية قادرة على النطق في ايصال رسالة الشاعر وهذا ما انفرد به كمال اديب الدين من بين الشعراء في اتخاذ النقطة والحرف وسيلة ليعبر بهما عن مكنونه الداخلي ووجعه في الغربة وضياعه, فقد انسن النقطة والحرف فضلا عن امكانيته اللغوية والبلاغية في انزياح معناهما عن اصله وخروجهما عن المعتاد والمألوف وهذا ما اعطى لنقطة الشاعر وحرفه ميزة انماز بها عن اقرانه, كما نلمس مدى مصداقية الشاعر الروحية في تعامله مع قصائده فقد تعامل مع حروفه كأنهما كائن حي يتبادل معهما وجع غربته ويعبر بهما عما يكن في داخله كأن الحرف والنقطة هما صوته الداخلي وقد نجح الشاعر في ايصال احساسه للمتلقي .

الهوامش

[1])أنسنة الشعر , حسن ناظم :7.
2)حقيقة النقطة والحرف في تجربة أديب كمال الدين الشعرية , صالح محمود,الجوار المتمدن , ع 2104, 2007.
3)أربعون قصيدة عن الحرف, أديب كمال الدين:52
4) أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين, د.عبد القادر فيدوح: 97.
5)أربعون قصيدة عن الحرف, أديب كمال الدين:52
6) أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين, د.عبد القادر فيدوح: 97.
7)أقول الحرف وأعني أصابعي,أديب كمال الدين:36
8)شعرية النقطة والحرف في شعر أديب كمال الدين, د.سعد التميمي,الصباح الجديد 7 حزيران 2023 ع 5151
9)أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين:44.
10)الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين:100.
11)الحرف والنقطة في شعر أديب كمال الدين, عدنان لكناوي :62.
12) الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين:131
13) الحرف والنقطة في شعر أديب كمال الدين:68.[1]) الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين:138
14) أضف نونا قراءة في نون أديب كمال الدين,د. حياة الخياري: 69.
15) الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين:35.
16) أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين: 44.
17) الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين: 52.
18)بلاغة الانزياح في شعر محمود درويش, الحسن بواجلابن:23.
19) الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين:116.

قائمة المصادر والمراجع

- -أربعون قصيدة عن الحرف, أديب كمال الدين,ازمنة للنشر والتوزيع,عمان, ط1 ,2009م.
- -الأعمال الشعرية الكاملة أديب كمال الدين,منشورات ضفاف,الجزائر,ط1 ,2024م.
- -أضف نونا قراءة في نون أديب كمال الدين,د. حياة الخياري, الدار العربية للعلوم ناشرون,بيروت,ط1 , 2012م.
- -أقول الحرف وأعني أصابعي,أديب كمال الدين ,الدار العربية للعلوم ناشرون,بيروت,ط1 ,2011م.

❖ -أنسنة الشعر مدخل الى حداثة اخرى: فوزي كريم انموذجا, حسن ناظم , المركز الثقافي العربي الدار البيضاء- المغرب, بيروت- لبنان, ط1, 2006م.
❖ -أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين, د.عبد القادر فيدوح, منشورات ضفاف, بيروت,ط1 ,2016 م.
❖ -الحرف والنقطة في شعر أديب كمال الدين, عدنان لكناوي,دار الدراويش للنشر والترجمة , جمهورية ألمانيا الاتحادية, ط1 ,2022م.
❖ -ما قبل الحرف ما بعد النقطة, أديب كمال الدين,دار ازمنة للنشر والتوزيع,عمان,ط1 ,2006م.

الدوريات:

❖ حقيقة النقطة والحرف في تجربة أديب كمال الدين الشعرية، صالح محمود, الجوار المتمدن , ع 2104, 2007م.
❖ شعرية النقطة والحرف في شعر أديب كمال الدين، د.سعد التميمي, الصباح الجديد ع 5151, 7 حزيران 2023 م.